الأحد 23/12/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

من عادى لي ولياً

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عَنْ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**)) [رواه البخاريُّ].

هذا الحديث قال عنه العلماء أنه أشرف حديث في ذكر الأولياء.

وقال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله.

الوصول إلى الله له طريق ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، [الفاتحة: 6]، فكما أنك إذا أردت أن تصير طبيباً فهناك طريق، وإذا أردت أن تصير مهندساً فهناك طريق، فالوصول إلى الله له طريق وليس أمراً اعتباطياً.

والآن ستسمعون كيف يكون هذا الحديث أصلاً في الوصول إلى الله عز وجل.

في الحديث ثلاث فقرات:

1- الفقرة الأولى: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)).

وهذه مكافأة، ورتبة، وميزة، وفضيلة، وعطية، لأولياء الله تعالى بأن من عاداهم وخاصمهم وأبغضهم فإن الله تعالى يعلن عليه الحرب، وإذا أعلن الله الحرب على الإنسان فمن سيكون المنتصر؟!

لما قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾، [الحج: 27] أي أعلم الناس بالحج.

أصل الأذان في اللغة: الإعلام، فالمؤذن يعلمنا أن وقت الصلاة قد حان.

((فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))، أي فقد أعلنت وأعلمته أنني محارب له.

الآن من هو ولي الله؟

الولاية باب جعله الله تعالى مبذولاً لكل من أراده.

الله في القرآن الكريم يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من هؤلاء؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، [يونس: 62-63] فليس من الصحيح أن يَقْصُرَ الناس الولاية على أشخاص محددين.

مر وقت يقول فيه الناس لا يوجد في البلدة إلا ولي واحد أو اثنان أو خمسة، لكن الله قال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فهؤلاء أولياء الله تعالى، ونحن والحمد لله تعالى كلنا مؤمنون ومطلوب منا أن ننضبط بتقوى الله تعالى، فإذا انْضَبَطْتَ بالتقوى فأنت من أولياء الله تعالى.

لمن أراد طريق الولاية عليه أن ينضبط بثلاثة أشياء ولا بد لكل شخص من بيننا قبل أن يموت أن يكون ولياً لله تعالى والأمور الثلاثة هي:

1- ترك الحرام.
2- إتقان الفرائض.
3- أداء ما استطعت من النوافل.

فإذا جمعت مع إيمانك هذه الثلاثة فأنت من الأولياء.

يا إخواننا أي قوة، وأي معونة، وأي نجاح، وأي رتبة لواحد فينا أعلى من أن يكون الله نصيرك، وحليفك، وأن يكون الله تعالى معك.

فبهذه الثلاثة مع الإيمان تنال رتبة الولاية.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((...اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ...))، [الترمذي].

أما الحرام فالممات دونه.

أنا مستعد للموت على أن أدخل على بيتي لقمة حرام، ولو دعاني له أهل الأرض كلهم.

مراراً ما سألني شباب، أو رجال، أو أرسلت أخوات سيدات عبر الموقع الإلكتروني أسئلة أو مواقف أو استشارات في حرام يعرض عليهم، ثم يلقونه تحت أقدامهم كرامة لحضرة الله تعالى.

فهذا هو المؤمن إذا عرضت له شهوة أو أمر يدعوه لارتكاب الحرام رمى الشهوة إكراماً لحضرة الله تعالى، فيبدله الله هذه الرتبة، ويصير الله حليفه ويعادي الله تعالى أعداءه.

أصل كلمة ولي في الدنيا مأخوذة من معنى القرب، والولي: من كان قريباً.

فالولي قريب من الله عز وجل محبٌ له، فتراه يحب ما يحبه الله ويعادي ما يعاديه؛ لذلك ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)).

فإذا وضع أحدُنا برنامجاً لحياته ثم دفع كل حياته ثمناً لهذا المقطع من الحديث فهو الرابح.

إذا بذلت حياتك من أجل ترك الحرام، ومن أجل إتقان الفرائض وأداء النوافل، فأنت الكاسب.

لما حضر الموتُ والدَ الإمام البخاري جعلت ابنته تبكي، فنظر إليها وقال: يا بنية لم تبكين؟! فو الله ما أدخلت إلى جوفي ولا إلى جوفكم لقمة حرام.

حدثتكم مرة بأن شاباً يعمل في سوق الخياطة -وهو تاجر وعنده ورشات للخياطة- دخلت عليه فتاة من أجمل ما خلق الله ودعته إلى نفسها بالحرام لقاء مبلغ قليل من المال فسألها: لم تفعلين هذا الشيء؟! فقالت: أنا لدي أب وأم مسنان وأخوات بنات، ولا عائل لنا، فقال لها: إذا وصل هذا المبلغ إلى بيتكم في كل الشهر أتتركين هذا العمل؟ فبكت الفتاة، فأخذ منها العنوان وأرسل من يسأل عن هذه العائلة فوجدها صادقة، وصار يرسل لهذا البيت في كل رأس شهر ما يكفيهم من المصروف، قال لي: والله يا أستاذ لولا الخوف من الله لفعلت وفعلت.

هذا هو المؤمن.. بالله عليك إذا أنت فعلت هذا لأجل الله فهل تعتقد أن الله عز وجل لن يكافئك ولن يثيبك ولن يعطيك؟

هل تعتقد أن الله لم يرك أو لم يسمع؟

هل تعتقد أن الله عاجز أن يعطيك من الأجر فوق ما تتصور وأنت قد فعلت مع الله عز وجل ولأجل الله شيئاً غيرك ما فعله؛ لذلك كان من مكافئة الله بأن: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)).

قال لي بعض الإخوة وعنده أيضاً ورشة خياطة قال بقيت أربعة أشهر أعطي عمالي معاشاً من غير عمل ثم جاءني زبون طلب مني طلبية تكفيني عملاً لستة أشهر للأمام، وتقضي عني ما انكسر من الأشهر الماضية، لكن هذه الطلبية لا ترضي الله عز وجل وهي ملابس نسائية ترتدى في البحر فهل يجوز أن يخيطها؟ لا.. لأنها لا تستخدم إلا على الشاطئ.

هذا الرفض صعب جداً خاصة لإنسان يدفع لعماله من غير عمل، غير أن الله وفقه وقال: لا..

قال: بعد شهرين وأنا بنفس الضيق والفقد والكرب، جاءني زبون فتح معي خط للإنتاج يأخذ مني البضاعة إلى العراق، والطلب الذي طلبه مني يكفيني سنة لأعمل مع عمالي وأشغل معي ثلاث ورشات من الجوار.

فأنت عندما تبذل شيئاً لله فإن الله سيعوضك في الدنيا والآخرة.

رجل صاحب مطبعة جاءه رجل ليطبع عنده مجلة شهرية، وهذا العمل يأتيه في كل شهر ربح مائة ألف ليرة سورية، إضافة لأرباح المطبعة خلال الشهر، فطلب منه بعض الأعداد الماضية فإذا بهذه المجلة سيئة، وفاضحة، وفيها صور ماجنة، وأخبار ساقطة، ومسائل تافهة تسيء للمجتمع، فهل يجوز له طباعتها؟ الجواب: لا.. فقال له: لا.. غير موافق.

بعد أشهر جاءه طلبية لطباعة المصحف الكريم فطبع مائتي ألف نسخة قرآن كريم، بربح فأخذ أجراً وأجرة.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ:**

عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))، [الإمام مسلم].

فكلكم ستختبرون بالاختبارات المختلفة وبالدرجات المختلفة.

يأتيك الامتحان الأول ثم الثاني فالثالث والرابع وكل امتحان تنجح به تُرفع به رُتبة، وكلما علت رتبتك كلما صعب امتحانك.

طبعاً امتحان الصف السابع أصعب من امتحان الصف الأول، وامتحان الكفاءة أصعب من امتحان السابع وهكذا... والسبب أنك تأخذ رُتباً أعلى.

فإن نجحت في الامتحانات فأنت تقترب من الله وكلما اقتربت من الله أكثر، صار الله حليفَك ووليَك ومولاك ونصيرَك يوالي من توالي ويعادي من تعادي، ((**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**)).

مهما غالبتم، وجاهدتم، وضغطتم على أنفسكم لترك الحرام فأنتم الكاسبون.

ويعينكم على ترك الحرام ومجاهدة النفس والضغط على هذه النفس الأمارة بالسوء:

أ. **الإكثار من ذكر الله:** لأنه يجعل قلبك موصولاً بالله عز وجل، فإن المعصية غفلة عن الله.

فالذي يسرق يراقب الناس لئلا يروه، لكن نسي أن رب الناس يراه، ولو أيقن أن الله يراه في لحظة السرقة لما استطاع السرقة.

((روي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم فقال له: يا أبا إسحاق! إني مسرف على نفسي فاعرض علي ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي.

قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة.

قال: هات يا أبا إسحاق!

قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله –عز وجل– فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟!

قال له: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟!

قال: لا هات الثانية!

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده قال الرجل: هذه أعظم من الأولى! يا هذا! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟ قال: يا هذا.. أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟!

قال: لا.. هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه قال: يا إبراهيم.. كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟!

قال: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!

قال: لا.. هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً قال: لا.. يقبل مني.

قال: يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟!

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذا؟!

قال له: يا إبراهيم! حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما)) [التوابين لابن قدامة].

ب. **صحبة الصالحين**: لأنهم يخبرونك بأخبار الصلاح وأخبار الصالحين.

ت. **مجالس العلم**: لأنها تذكرك.

أحياناً إنسان يكون قد نوى المعصية، فعندما يحضر مجلس العلم، فإن مجلس العلم يذكره فيعود.

وأضداد هؤلاء بأضدادها، **فمما يعين الشيطان على الإنسان:**

أ. غفلته.

ب. ومجالسة العصاة.

ت. والجهل.

فهؤلاء الثلاثة يعينوننا على الوقوع في المعصية، وتلك الثلاثة تعيننا على ترك الحرام.

2- **الفقرة الثانية:** ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ)).

يا أيها الإخوة نحن لا نعلم شيئاً يقربنا إلى الله تعالى إلا ما شرع لنا.

بالله عليكم تخيلوا لو أن الله عز وجل خلقنا وما أنزل لنا شرعاً، فالعقل يدلك على أن هناك خالقاً لهذا الكون؛ لذلك هناك أناس لم تصلهم دعوة الإسلام أو الرسل لكن عقولهم أرشدتهم إلى أن خالقاً خلق هذا الكون، لأن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير؟!

بعض العلماء كتب كتاباً اسمه **(الله يتجلى في عصر العلم)** هذا الكتاب من كتبه هم علماء ليسوا عرباً ولا مسلمين، أحدهم أستاذ في الكيمياء، والثاني في الطب، والثالث في الفيزياء، وآخر في الفلك... فهم من دراساتهم في الطب أو الفيزياء أو الفلك علموا أن هناك خالقاً لهذا الكون.

يقول أحدهم وهو كيميائي: كلما أردت أن أزداد قرباً إلى القوة التي خلقت هذا الكون نظرت في منظار مجهري هناك عالم بكامله موجود في هذه الذرات.

فالعقل يدلك على أن خالقاً خلق هذا الكون، لكنه لا يمكن أن يدلك ما الذي يحبه الخالق وما الذي يكرهه؛ ولذلك أنزل الله تعالى لنا الشرع فنحن لا نعلم شيئاً يقربنا إلى الله إلا شرعه.

تخيلوا الآن أنه لا يوجد شرع ووصلت عقولنا لوجود الخالق، فبعضهم ربما يقول: أنا سأقتل نفسي لأزداد قرباً من الله.

هناك تسعين راهباً من اليابان وُجِدُوا في غرفة وقد قتلوا أنفسهم بالغاز وتركوا ورقة مكتوب فيها: أننا أردنا أن نزداد قرباً من خالق هذا الكون فما وجدنا طريقة إلا قتل أنفسنا.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا))**، [البخاري ومسلم].

فلا يجوز لأحدهم أن يقتل نفسه، لكنهم لم يصلهم الشرع؛ لذلك لم يجدوا إلا هذه الطريقة.

وربما يقوم أحدهم من الذين لم يصلهم بالشرع بشرب الخمر واتباع اللذات، ليزداد قرباً؛ لذلك من رحمة الله بنا أن أنزل علينا شرعاً فنحن لا نعلم شيئاً يقربنا من الله عز وجل إلا الشرع فما فرض فرضناه، وما استحب استحببناه، وما أباح أبحناه، وما كره كرهناه، وما حرم حرمناه فأفضل ما يقربنا إلى الله الفرائض، **((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ))**.

الله يحب أربع ركعات فرض صلاة العشاء، فإذا أردت التقرب من الله فأتقن صلاة العشاء.

الله يحب ركعتين فرض صلاة الصبح.

الله يحب صيام رمضان.

الله يحب إخراج 2.5 % من مالك زكاة.

الله يحب الحج مرة واحدة من استطاع إليه سبيلاً.

الله يحب بر الوالدين والعناية بالزوجة والأولاد...

لذلك مهما استطعتم أن تضبطوا فرائضكم فافعلوا، فإنها تزيدكم قرباً من الله عز وجل، والعكس بالعكس.

قال بعض الصالحين: **بلاء هذه الأمة من تضييع الفرائض والانشغال بالنوافل.**

أي مثلاً: تجده يَبَرُّ صديقه، ويَعُقُّ أباه مع أن بر الوالدين فرض، ومساعدة الصديق سُنَّة فيقدم الصديق على الأب.

يرعى الأيتام ويقصر على زوجته وأولاده، مع أن النفقة على الزوجة فرض والنفقة على يتيم غريب سنة، فهو يفعل السنة وينسى الفرض.

يحيي ليلة القدر في المسجد، وقبل الأذان يذهب للسحور ثم ينام ولا يصلي الفجر.

هناك أمر يدرس في الإدارة يقولون: هناك أولويات، ولا بد لك أن تُرتِّبَ الأولويات، وإذا اختلطت عليك فمعنى ذلك أنك ستضيع.

الفرض هو أولوية ثم يأتي بعد ذلك السنة ثم تأتي المباحات.

ذكر لسيدنا عمر بن الخطاب عن رجل صلى الليل كله ثم نام عن صلاة الفجر فقال سيدنا عمر: ليته نام الليل كله وحضر معنا صلاة الفجر.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (**أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله**).

قال سيدنا عمر بن عبد العزيز في بعض خطبه: (**أفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المحارم**).

الفرائض نوعان:

1- **فرض عين**: كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وبر الوالدين، ورعاية الزوجة والأولاد...

2- **فرض كفاية**: أي إذا فعلها بعضنا سقط الإثم عن الباقين، مثل صلاة الجنازة فإذا فعلها البعض سقطت عن الباقين، لكن إذا تلبس الأمر (هؤلاء الذين قاموا إذا قال أحدهم نويت أن أصلي أربع تكبيرات على هذا الميت) بصلاة الجنازة صارت الجنازة عليه فرض، لأنه ألزم نفسه بهذا الفرض ،وبالتالي مطلوب منك أن تؤدي كل ما يتعلق بصلاة الجنازة.

أحياناً إنسان يستلم حكم المسلمين فهذا فرض كفاية، لكن الذي استلم هذا المنصب عليه فرائض وصارت عليه فرض العين، كأن يعدل بين عباد الله تعالى، ويثاب إذا فعله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ...**))، [البخاري].

وإذا ظلم فبالعكس لأنه يكون قد ارتكب المحرمات.

((**وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**)).

الرتبة العالية أن تتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم تأخذ من النوافل ما استطعت.

قال بعض الصالحين: ليس العجب من قول الله تعالى يحبونه، ولكن العجب من قول الله تعالى يحبهم، لأن الله يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، [المائدة: 54].

النوافل: من صلاة، وصوم، وصدقات، وحج، وعمرة، ومساعدة الخلق، ومد يد العين للمتضررين، وإغاثة المستغيثين، والتخفيف على المعسرين، ومساعدة المحتاجين، وقضاء حاجات العباد، وتيسير مصالح الناس...

وبالتالي نجد أن حياة المؤمن مليئة فليس لديه وقت فارغ.

((وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي)) كلمة لا يزال حملت صفة الاستمرارية فكلما انتهى من عمل صالح افتتح آخراً.

((حَتَّى أُحِبَّهُ)) لأن لديه هدف وهو أن يحبه الله عز وجل؛ لذلك تجده مشغولاً بالأعمال الخيرات، وحتى إن استراح فهذه الاستراحة ليعاود نشاطه مرة ثانية، ولن يشبع امرؤ من خير قط حتى يكون منتهاه الجنة.

بالله عليكم أيهما أزكى، وأعلى، وأرفع أن تجعل هدفك أن يحبك الله، أم أن تجعل هدفاً أن تصير مديراً لشركة؟ فلا يوجد مقارنة ولا تفكير بهذه الطريقة، ولو كانت الشركة عالمية، أو إقليمية، أو وطنية، أو بالكرة الأرضية.

لا مشكلة أن تكون بتلك الوظيفة لكن اجعلها وسيلة ليحبك الله عز وجل.

اعلموا أيها الإخوة أن النوافل فَتْحٌ من الله، فتجد إنساناً فتح الله عليه بالصلاة، فإذا صلى كانت الصلاة معراجاً لروحه وقرة لعينه، فإذا دخل في الصلاة غاب عن العالم كله، وربما صلى باليوم عشرين ركعة من النوافل، أو أربعين، أو ستين، أو ثمانين، فلديه طرب وسرور كبير في الصلاة.

وهناك أناس يفتح الله عليهم في الصوم فتجده يفطر يوماً ويصوم يوماً وهو عليه هيِّن مهما كان الطقس، أو مهما كانت الصحة.

هناك أناس الله فتح عليهم في الصدقات حتى يقول الناس: هذا الرجل المال الذي في يده ليس له، تجده يتلذذ بإعطاء الآخرين أكثر مما أن يأخذ.

تجد رجلاً فتح الله عليه بإطعام الطعام، ذُكر عن سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم أنه كان يكنى أبا الضيفان، فكان لا يأكل وحده وربما مشى ميلاً ليأتي بمن يأكل معه.

هناك أناس الله فتح عليهم في مساعدة الخلق، فتشعر أنه يبذل نفسه لأجل مساعدة الناس.

هناك أناس فتح الله عليهم في استخدام وَجَاهتهم في حل مشاكل الناس، فله رتبة اجتماعية وتجده يحل بها مشاكل الخلق.

هناك أناس فتح الله عليهم في بر الوالدين، فتجده يتلذذ ببر الوالدين.

هناك من فتح الله عليه برعاية الأهل والأولاد.

إذا وجدت أن الله فتح عليك في باب فهذا رزق من الله فلازمه.

قال العلماء: **الرزق رزقان:**

1- رزق مادي: وهو المال.

2- ورزق روحي: بأن تجد أن الله فتح عليك باباً من أبواب القرب.

كان هناك أخ مهندس توفاه الله عز وجل إذا رفع يديه للدعاء لم ينزلهما قبل ساعتين، وتسمعه خلال الساعتين لا يكرر دعاء واحداً.

كل واحد لا بد أن يكون الله قد أعطاه شيئاً، فإذا وجدت أن الله أعطاك شيئاً فهذا رزق فلا تتركه.

إذا وجدت الله عز وجل يفتح عليك بقضاء حاجات الناس فهذا رزق يريد أن يقربك به لأنه ((وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ))، فالله يمدك ويمدك ليجعلك من أصحاب لقب، **يحبهم**.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾، [مريم: 96]، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي أَبْغَضْتُ فُلَانًا، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ))، [الترمذي].

يصبح الناس يُجبرون على حبك ولو لم تقم بدورة NLB لأن التوقيع من عند الله، فالله يعلمك ما يَدرسه غيرك بمئات السنين وبالعكس أيضاً.

أبوه يكرهه، أولاده يكرهونه، أخوه يكرهه، جاره يكرهه...

قال بعض العلماء: من الفرائض ترك الحرام، فهي مندرجة ضمن إتقان الفرائض.

3- **المقطع الثالث**: ((فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا)).

قال العلماء: **له معنيان:**

أ. **المعنى الأول**: أن هذا العبد الذي ترك الحرام وأتقن الفرائض وأدى النوافل يغيب عن نفسه إلى ربه فيفنى عن نفسه ليبقى بربه، بحيث لا يسمع إلا ما يرضي الله، ولا يبصر إلا ما يحب الله، ولا تتحرك يده إلا بما يأمر به الله، ولا تمشي رجله إلا لم يريده الله.

وهذا معنى عندما يقال: فلان فان بالله وباق بالله، أي فنيت كل إراداته ومرغوباته ومحبوباته إلى محبوبات الله ومرادات الله ومطلوب الله عز وجل.

العبد لا يطلب إلا ما يطلبه الله، و لا يحب إلا ما يحب الله، ولا يقول إلا ما يأمر به الله، ولا يسكت إلا عما ينهى عنه الله.

فتجده إذا أراد أحدهم أن يتكلم أمامه بالغيبة يقول: توقف عن الكلام فلا أستطيع أن أسمع، أما إن جاء إنسان يتكلم أمامه كلام خير سمعه.

إذا دعاه رجل لحضور جلسة فيها نظر للحرام فلا يستطيع أن يبصر إلا بما يأمر به الله عز وجل، أما إذا دعاه إلى جلسة فيها خير، وفيها نظر في القرآن، ونظر لأمور العباد، وتيسير أمورهم يسعى لذلك.

إذا دعاه رجل ليساعده على أذية أهل الحق فلا يستطيع، وإذا دعاه على أن يستخدم يده في معونة أهل الحق فهو حاضر.

ب. **المعنى الثاني**: يعينه الله عز وجل فيعطيه قوة في السمع إضافية عن هذا السمع الفيزيلوجي، فربما أسمعه تسبيح الحصاة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُنَّ أَبَا بَكْرٍ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ، ثُمَّ أَعْطَاهُنَّ عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ، ثُمَّ أَعْطَاهُنَّ عُثْمَانَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُنَّ عَلِيًّا، فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ فَخَرِسْنَ،** [الطبراني في الأوسط].

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، [الإسراء: 44] فالتسبيح ممكن أن يكون بصوت وممكن أن يكون بغير صوت.

فهذا السمع عطية من الله عز وجل والله يعطي من يشاء ما يشاء متى يشاء، وينزع متى يشاء ممن يشاء ما يشاء.

((وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ)) فيصير يرى بنور الله عز وجل.

روي أن رجلاً دخل على عثمان وقد نظر امرأة أجنبية فلما نظر إليه قال: هاء!! أيدخل علي أحدكم وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا!! ولكن قول حق وفراسة صدق، [الرياض النضرة في مناقب العشرة].

أحياناً يأتيك إنسان يقول لك: أريد أن أشاركك بمشروع تجاري، والدراسة والجدول الاقتصادية والخبراء يقولون لك: هذا المشروع ممتاز، وتنظر أنت فتقول: سبحان الله لكن أعتذر لأني غير مستعد لهذا الأمر، وبعد عدة أشهر تخبر بأنه رجل محتال، يقولون لك: كيف لم تشاركه؟! تقول: لا أعرف لكن لم أرتح له.

فبأي عين شاهد، وبأي قلب لم يرتح، ليس بالعين البشرية لكن الله هو الذي أراه هذان معنيان لهذا الحديث.

((وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ)).

أحياناً هناك أناس صالحين يدعون الله عز وجل والله لا يعطيهم.

نحن الآن في الأزمة ألا يوجد رجل صالح بيننا؟!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا))، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ؟ قَالَ: ((اللَّهُ أَكْثَرُ))، [الإمام أحمد].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.